الصور البلاغية الواردة في خواتيم الآيات القرآنية ومناسبتها لصدر الآيات

إعداد

أ.د . محمد محمود أبو على

أستاذ النقد والادب

بقسم اللغة العربية

أ. رمضان عبد الحفيظ

باحث ماجستير

بقسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعه دمنهور

دورية الانسانيات . كلية الآداب . جامعة دمنهور

العدد التاسع والخمسون - يوليو - لسنة 2021

الصور البلاغية الواردة في خواتيم الآيات القرآنية ومناسبتها لصدر الآيات

أ.د . محمد محمود أبو على
أ. رمضان عبد الحفيظ

الملخص

يسعى البحث إلى دراسة الصور البلاغية الواردة في خواتيم الآيات القرآنية ومناسبتها لصدر الآيات ، ويتناول البحث المحاور الآتية:

المقدمة: ذكرتُ فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومنهج البحث وخطته.

وبينت فيه بعض بلاغة التراكيب، والمبحث الثاني دار حول بلاغة الصور، والمبحث الثالث: بلاغة المحسنات البديعية.

وقد بان في غُضُونِ تَفْسِيرِ بعض الآيات مِنْ عِلْمِ الْبَيَانِ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ لَا يَهْتَدِي إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا إِلَّا مَنْ كَانَ تَوَغَّلَ فِي فَهْمِ لِسَانِ الْعَرَبِ، وَرُزِقَ الْحَظَّ الْوَافِرَ مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ، وَكَانَ عَالِمًا بِافْتِنَانِ الْكَلَامِ، بل تضمنت الآيات من السور الكثير من ألوان الفصاحة والبلاغة والبديع.

The summary

The research seeks to study the rhetorical images contained in the conclusions of the Qur'anic verses and their relevance to the beginning of the verses. The research deals with the following axes:

Introduction: I mentioned the importance of the topic, the reasons for choosing it, the research objectives, and the research methodology and plan.

In it, I showed some eloquence of compositions, and the second topic revolved around the eloquence of images, and the third topic: the eloquence of creative benefactors.

المقدمة

فإن تحليل آيات القرآن الكريم، والوقوف على أسرارها أمر يبهر العقول، ويكشف أمامها من لطائف المعرفة ما يهديها ويبصرها، وإذا كان هذا التحليل لأسماء الله الحسنى في القرآن الكريم، فإنه ينقل النفس إلى عوالم من الأسرار قد تخفى على كثير من الناس، ولهذا شمرت عن ساعد الجد، وقمت بهذه الدراسة التي جاءت بعنوان(الصور البلاغية الواردة في خواتيم الآيات القرآنية ومناسبتها لصدر الآيات).

وكان من أسباب اختياري لهذا الموضوع:

أولاً : رغبتي الخاصة وحاجتي الملحة لمعرفة أوجه الحكمة في حركة الأسماء الحسنى في خواتم الآيات والبحث عن علل تجاورها.

ثانياً : عدم وجود دراسات كافية تتناول هذا الموضوع بالبحث والتحليل، فكتب التفسير على وفرتها لم تتصد لمعالجة هذا الموضوع إلا على استحياء، ومن خلال شذرات تناثرت هنا وهناك .

ثالثًا : اعتقادي أن هذا الموضوع يفيد المسلمين خاصتهم وعامتهم، وأنه موضع اهتمام منهم، بحكم علاقته المباشرة بالقرآن الكريم.

الدراسات السابقة :

وقفت على بعض الدراسات السابقة التي تناولت موضوع البحث بتناولات شتى .

١ـ المناسبة بين الفوصل القرآنية وآياتها ـ دراسة تطبيقية لسورة البقرة ـ الآيات (١٤٢) إلى نهاية السورة) رسالة ماجستير للباحث : نور الدين عقيلان.

٢ ـ (المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها : دراسة تطبيقة)، رسالة ماجستير للباحث أحمد محمد عطية المنيراوي ، الجامعة الإسلامية بغزة فلسطين ١٤٣١هـ . ٢٠١٠م).

٣ـ (المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها : دراسة تطبيقة لسورة الأعراف)، رسالة ماجستير للباحثة : إيمان عيد علي درويش ، إشراف الدكتور وليد محمد حسن العمودي ، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين ١٤٣١هـ ٢٠١٠م).

أما عن منهج البحث : فقد اعتمدت على المنهج التحليلي بكل آلياته.

أهداف البحث :

_ الوقوف على بعض الصور البلاغية الواردة في بعض خواتيم الآيات ومناسبتها لصدر الآية.

_ الوقوف على بعض الأسرار البلاغية في تناسب الأسماء الإلهية في الفواصل القرآنية لمعاني الآيات.

ـ أما خطة البحث فقد جاءت كالتالي:

مقدمة وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بلاغة التراكيب.

المبحث الثاني: بلاغة الصور.

المبحث الثالث: بلاغة المحسنات البديعية..

الخاتمة: ورصدت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

قائمة بأهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول: بلاغة التراكيب.

أولا: التقديم والتأخير

وهو: (من جملة الخصائص البلاغية التي تعينك على التعبير عما في نفسك تعبيرا تستشعر بعده الشفاء مما يعتمد في نفسك، فتبلغ بذلك الغاية.

وطبيعي أن الفوارق قائمة _بعد_ بين تقديم وتقديم، فإذا قلت لصاحبك : أأنت فعلت هذا؟ غير قولك له: أفعلت هذا؟ لأن الشك في الأولى يكون في الفاعل، أما الفعل فواقع لا محالة، أما في الثانية فالشك في الفعل لا في الفاعل).([1])

والتقديم والتأخير (باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية. لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة. ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان.([2])

والتقديم والتأخير يكون « على ضربين: أحدهما: يكون التقديم هو الأولى والأبلغ لموضع الاختصاص، والآخر: يكون التأخير هو الأولى والأبلغ؛ إما الفائدة تقتضي ذلك، وإما خوفاً من فساد المعنى واختلاله».([3])

ومنه قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ (البقرة: ١٤٣)

فقد قدم «شهداء» على صلته وهي «على الناس»، وأخر «شهيدا» عن صلته، وهي «عليكم» لأن المنّة عليهم في الجانبين ففي الأول بثبوت كونهم شهداء، وفي الثاني بثبوت كونهم مشهودا لهم بالتزكية، والمقدم دائما هو الأهم.([4])

أ_ تقديم المفعول على الفاعل

ومن تقديم المفعول على الفاعل في سورة البقرة ، فإذا كان الفاعل والمفعول اسمين ظاهرين جاز تقديم المفعول وتأخير ما لم يرفع في لبس، كقوله تعالى: " أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت " (البقرة : ١٣٣).

وقوله سبحانه:﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠ ﴾ (البقرة: ١٨٠).

أما إذا اتصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول، وجب تقديم المفعول على الفاعل حتى لا يعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة كقوله تعالى: " وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن " (البقرة: ١٢٤).

أو كان المفعول به ضميرا متصلا، والفاعل إسم ظاهر وجب تقديم المفعول على الفاعل كذلك وورد هذا النوع كثيرا كما في هذه الآيات:

([1]) في فلسفة البلاغة العربية: د. حلمي مرزوق، مكتبة الإسكندرية، ١٩٩٩، ص٢٢٩.

([2]) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر، ط١، ص١٠٦.

([3]) أبو الفتح، ضياء الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٧هـ): الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، المحقق: مصطفى جواد، الناشر: مطبعة المجمع العلمي، عام النشر: ١٣٧٥هـ ، ص١٠٩.

([4]) إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ، ١ /٢٠٣.

١_ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ (البقرة: ٥٥).
٢_ قال تعالى:﴿ نَبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ (البقرة: ١٠٠).
3- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ ﴾ (البقرة: ١١٨).

ب_ تقديم المبتدأ وجوبا

يتقدم المبتدأ وجوباً إذا حصر في الخبر، وقد ورد هذا التّركيب في سورة آل عمران ، وهو قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ **آل عمران: ٥٢١ - ٦٢١**

وإعراب هذه الآية، "ما" النافية، و"النصر " مبتدأ مرفوع، و "إلاّ" أداة حصر، و"من عند الله"جار ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر (٥)

جـ _ تقديم الجار والمجرور على المفعول به

وقد ورد في سورة البقرة أربعون موضعا أو تزيد تقديم الجار والمجرور فيها على المفعول به، سوف أعرض البعض منها مع ذكر بعض الشواهد:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (البقرة :٣٠)

ففي قوله: " إني جاعل في الأرض خليفة " (البقرة :٣٠) جاعل خبر ان ولله معنيان الأول: بمعنى خالق ويتعدى إلى مفعول واحد.
والثاني: بمعنى مسير فيتعدى إلى مفعولين. وقد اقتصر ابن عطية على الأول ونسبه للطبري: قال ابن عطية "جاعل" في هذه الاية بمعنى خالق ذكره الطبري عن أبي روق، ويقضي بذلك إلى مفعول واحد.(٦)

ثانيا: الذكر والحذف.

والحذف والذكر « باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسِّحْر، فإنك ترى به تركَ الذّكرِ، أفصحَ من الذكر، والصّمتَ عن الإفادة، أزيدَ للإفادة، وتجدك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطقْ، وأتمَّ ما تكون بيانا إذا لم تَبِنْ».(٧)

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾ (٢٦)

فالإيجاز بالحذف في مواطن عديدة كقوله {تُؤْتِي الملك مَن تَشَآءُ} أي من تشاء أن تؤتيه ومثلها وتنزع، وتعز، وتذل.

وختم الآية ليحقق الوصف، وإنما وَصف الله نفسه جلّ ذكره بالقدرة على كل شيء في هذا الموضع، لأنه حذَّر المنافقين بأسه وسطوته، وأخبرهم أنه بهم مُحيطٌ، وعلى إذهاب

(٥) إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين درويش، ٤٩/٢.
(٦) الوجيز لابن عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣ ، ١١٦/١.
(٧) أبو بكر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١٤٢٢،١هـ - ٢٠٠١ م، ص١٠٠.

أسماعهم وأبصارهم قَديرٌ، ثم قال: فاتقوني أيُّها المنافقون، واحذرُوا خِداعي وخداعَ رسولي وأهلِ الإيمان بي، لا أحِلَّ بكم نقمتي، فإني على ذلك وعلى غيره من الأشياء قدير، ومعنى"قدير" قادر، كما معنى"عليم" عالم .([٨])

ثالثا: التعريف والتنكير.

يعتبر النكرة والمعرفة من أهم القضايا التي ورد ذكرها في القرآن الكريم؛ لما يقوم به كل منهما من وظيفة كبيرة في إبراز جماليات الكلام ودلالاته، والقيم الفنية والجمالية التي يحملها والتي تعطينا معاني عميقة التي تظهر عظمة هذا الكتاب العزيز، ومعجزته الحجة الواضحة والمرجع الصحيح والمصدر الأول للدرس النحوي والدلالي، وهو ناتج عن التعريف والإنكار في النص القرآني والجانب الجمالي الذي يعطيه.

والمعرفة هي: (ما وضع ليدل على شيء بعينه، وهي المضمرات، والأعلام، والمبهمات، وما عرف باللام، والمضاف إلى أحدهما([٩])

أمثلة على المعرفة والنكرة من القرآن:في قوله تعالى في الآية (٥) في سورة البقرة (أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

الغرض هنا من التنكير "التعظيم": فنلاحظ كلمة (هدى) جاءت نكرة؛ لأن الهدى قسمان: هدى دلالة، وهدى معونة، وهو اسم يدل على شيء غير معين مبهم.

والكلمات المعرفة هي: رَّبِّهِمْ وأُولَٰئِكَ وهُمُ والْمُفْلِحُونَ.

ومن دلالة التنكير الدلالة على النوعية: أي يشير التنكير إلى نوع من أنواع النكرة، كما في قوله تعالى :﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾] سورة البقرة الآية7].

ويقول الزمخشري: " ومعني التنكير أن على أبصارهم نوعا من الأغطية غير ما يتعارفه الناس، وهو غطاء التعامي عن آيات الله، ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله. ([١٠])

رابعا: القصر.

(ومعناه اللغوي الحبس والاختصاص تقول: قصرت هذا المال عليك أي حبسته عليك واختصصتك به من دون الناس، والمعنى البلاغي قريب من ذاك، بل هو إياه لأنك حين تقول: لا إله إلا الله فأنت تقصر الألوهية على الله سبحانه وتعالى، ومثله : لا يعلم الغيب إلا الله أي عِلْمُ الغيب مقصور على الله من دون الناس) ([١١])

وهو:« تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص».[١٢]

ومن ذلك قوله تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢).

تدل هذه الآية على القصر؛ لأن فيه طريقة القصر، وهي النفي: "لا "والاستثناء "إلا" .

وهذه الجملة من القصر الحقيقي؛ لأنه إذا اشترك النفي "لا" مع الاستثناء "إلا" فمعناه النفي.

([٨]) جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري،١ /٣٦١.

([٩]) جامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني ،ط١ ،المكتبة العربية، صيدا لبنان، ،1999ص١٥٠.

([١٠]) تفسير الكشاف: الزمخشري، دار الكتاب العربي، ،2002 ، ص165.

([١١]) في فلسفة البلاغة العربية: د. حلمي مرزوق، ص٢٤١.

[١٢] السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ١٦٥.

فليس يخلو هذا الكلام من أن يكون موجباً أو منفياً، فلو كان المراد به الإيجاب لم يستقم، ألا ترى أنك لا تقول: يدافع أنا ولا يقاتل أنا؟ وإنما تقول: أدافع وأقاتل. ألا أن المعنى لما كان: ما يدافع إلا أنا، فصلت الضمير كما تفصله مع النفي إذا ألحقت معه إلا حملاً على المعنى.

ومن القصر الحقيقي قوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤).

فجملة " لن تمسنا النار إلا أياما معدودات " من القصر الحقيقي، وطريق القصر النفي والاستثناء.

ومن أنواع القصر أيضا قوله: (خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٩).

هذه الجملة من نوع القصر الإضافي؛ لأن التخصيص هو تخفيف العذاب لأهل الكتاب لتوبتهم، وهو قصر قلب، وتستخدم بطريقة القصر النفي والاستثناء.

المبحث الثاني: بلاغة الصور وفيه:

أولا: التشبيه.

تعريف التشبيه لغة:

جاء في لسان العرب أن « الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ المِثْلُ، والجمع أَشْباهٌ، وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ ماثله، وفي المثل مَنْ أَشْبَه أَباه فما ظَلَم... وأَشْبَهْتُ فلاناً وشابَهْتُه واشْتَبَه عَلَيَّ، وتَشابَه الشيئانِ واشْتَبَها: أَشْبَهَ كلُّ واحدٍ صاحِبَه، وفي التنزيل مُشْتَبِهاً وغَيْرَ مُتَشابه، وشَبَّهه إِياه، وشَبَّهَه به مثله والمُشْتَبِهاتُ من الأُمور المُشْكِلاتُ، والمُتَشابِهاتُ المُتَماثِلاتُ، وتَشَبَّهَ فلانٌ بكذا، والتَّشْبِيهُ التمثيل».[١٣]

التشبيه اصطلاحا:

هو « الوصف بأنّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب».[١٤]

ومن أمثلة التشبيه قوله تعالى:

(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠).

ضرب الله سبحانه هنا مثالين للمنافقين:

المثل الأول: شبّههم بحال جماعة استضاءوا بنار زمنا يسيرا ثم أطفأها الله.

والمثل الثاني: صوّر انتهازيتهم وشبّههم بحال جماعة أصابهم مطر غزير، وفرحوا بالبرق والنور وقتا ما، ثم وقعوا حيارى مبهوتين حينما أظلم الأفق.([١٥])

---

[١٣] ابن منظور: لسان العرب، مادة(شبه).

[١٤] أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر/تحقيق د.مفيد قميحة، ط٢، ١٤٠٤هـ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، ص٢٦١.

هذا وقد جاء بالصورة المذكورة تقريباً لغير المحسوس بالمحسوس، ومن باب ضربِ المثل. انه مشهد عجيب، حافل بالحركة، مشوب بالاضطراب، فيه تيه وضلال وفيه هو ورعب، وفيه فزع وحيرة. . والحقّ إن الحركة التي تعمر المشهد كلَّه لَتصوّر موقف الاضطراب والقلق والأرجحة التي يعيش فيها أولئك المنافقون.

فيا له من مشهدٍ حيّ يرمز لحالة نفسية، ويجسّم صورة شعورية، وهو طرف من طريقة القرآن العجيبة في تجسيم أحوال لنفوس كأنها مشهد محسوس.[١٦]

ومنه التشبيه التمثيلي في قوله تعالى: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذي استوقد نَاراً} وكذلك {أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السمآء فِيهِ ظُلُمَاتٌ}.

شبه في المثال الأول المنافق بالمستوقد للنار، وإظهاره الإيمان بالإضاءة، وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار، وفي المثال الثاني شبَّه الإسلام بالمطر لأن القلوب تحيا به كحياة الأرض بالماء، وشبَّه شبهات الكفار بالظلمات، وما في القرآن من الوعد والوعيد والبرق... الخ.[١٧]

ثانيا: الاستعارة.

والاستعارة لغة:

يقال: « (عور) العين والواو والراء أصلانِ: أحدهما يدلُّ على تداوُلِ الشّيء، والآخر يدلُّ على مرضٍ في إحدى عيني الإنسان وكلِّ ذي عينينِ، ومعناه الخلوُّ من النظر، ثم يُحمَل عليه ويشتقُّ منه».[١٨]

الاستعارة اصطلاحا:

قيل: هى(تسمية المرجوح الخفي باسم الراجح الجلي للمبالغة فى التشبيه. [١٩]

وقيل الاستعارة « أن تريد تشبيه الشيء، فتدع الإفصاح بالتشبيه وإظهاره، وتجيء على اسم المشبه به وتجريه عليه كقولك: (رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء)، فتدع ذلك ونقول: (رأيت أسداً) وهذا يكون على ضربين: أحدهما: أن تجعل المشبه هو المشبه به، بأن تنزله وتسقط ذكر المشبه من البين كقولك: (رأيت أسداً) والثاني: بأن تجعل المشبه به، خبراً عن المشبه في باب الاستعارة».[٢٠]

ومن الاستعارة قوله: (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ [١٨].

وهي من الاستعارة التصريحية فقد شبههم بالصم والبكم والعمى، وطوي ذكر المشبه واعتبره بعض علماء البلاغة في حكم المذكور، فهو عندهم تشبيه بليغ وارد في كلامهم كثيرا.

---

(١٥) التفسير الوسيط للزحيلي : د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - دمشق Kالطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ، ج١ /١٦.

(١٦) تيسير التفسير : إبراهيم القطان (المتوفى: ١٤٠٤هـ)،٩/١.

(١٧) صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، ٣٢/١.

(١٨) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة(عور).

(١٩) تحرير التحبير: ابن ابى الاصبع المصري ، تحقيق د. حفنى محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الاعلى للشؤن الاسلامية ، لجنة احياء التراث الاسلامى ، ص٩٧.

(٢٠) ينظر: دلائل الاعجاز: عبدالقاهر الجرجاني، ٦٧/١، ابن الأثير: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص٨٢.

قال شاعرهم:

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم دفنوا

ولكن بلغاء المحققين يتناسون المشبّه ويضربون عن توهمه صفحا.

والاستعارة أيضا في {يَشْتَرُونَ الضلالة} وفي {لِيَذُوقُواْ العذاب}؛ لأن أصل الذوق باللسان فاستعير إلى الألم الذي يصيب الإنسان، وفي {لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ}؛ لأن أصل الليّ فتل الحبل، فاستعير للكلام الذي قصد به غير ظاهره، وفي {نَّطْمِسَ وُجُوهاً} وهي عبارة عن مسخ الوجوه تشبيهاً بالصحيفة المطموسة التي عُمّيت سطورها وأشكلت حروفها.

والاستعارة أيضا في قوله {فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} حيث استعار ما اشتبك وتضايق من الشجر للتنازع الذي يدخل به بعض الكلام في بعض استعارة للمعقول بالمحسوس.

ثالثا: الكناية.

الكناية لغة:

في لسان العرب الكناية « أَن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكَنَى عن الأَمر بغيره يَكني كِناية: يعني إِذا تكلم بغيره مما يستدل عليه».[٢١]

الكناية اصطلاحا:

هي:« اللفظ الدال على الشيء على غير الوضع الحقيقي بوصف جامع بين الكناية والمكنى عنه، كاللمس والجماع، فإن الجماع اسم موضوع حقيقي، واللمس كناية عنه، وبينهما الوصف الجامع إذ الجماع لمس وزيادة، فكان دالا عليه بالوضع المجازي».[٢٢]

ومن الأمثلة على الكناية في قوله تعالى: «وأنتم أذلة» عن ضعف حالتهم وضآلة عددهم وعددهم: ذكر التاريخ أنهم خرجوا يعتقب النّفر منهم على البعير الواحد، وما كان معهم إلا فرس واحد يوم بدر.

ومنها أيضا قوله: من الغائط، فقد كنّى عما يستهجن ذكره.

ومن الكناية قوله تعالى: (هَاأَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩)

في هذه الآية فن الكناية، وعض الأنامل كناية عن صفة. وقد جرت عادة العرب على التعبير عن المغتاظ النادم على ما فعل بعضّ الأنامل والبنان، وقد طفحت أشعارهم بهذا التعبير، قال أبو طالب:

وقد صالحوا قوما علينا أشحة يعضون عضا خلفنا بالأباهم

---

[٢١] ابن منظور: لسان العرب، مادة(كنى).

[٢٢] أبو الفتح ضياء الدين الموصلي: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، الناشر : المكتبة العصرية - بيروت ، ١٩٩٥، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، ١٨١/٢.

رابعا: المجاز.

المجاز لغة:

يقال: « (جوز) جُزْتُ الطريقَ، وجازَ الموضعَ جَوْزاً وجُؤُوزاً وجَوازاً ومَجازاً، وجازَ به وجاوَزه جِوازاً، وأَجازه وأَجاز غيرَه وجازَه سار فيه وسلكه، وأَجازَه خَلَّفه وقطعه، وأَجازه أَنْفَذَه».[٢٣]

المجاز اصطلاحا:

عرَّفه ابن الأثير أيضا بقوله: « ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة اتساعاً، وقيل: هو ما نقل عن موضوعه الأصلي إلى غيره، بسبب مشابهة بين محل الحقيقة ومحله، في أمر مشهور».[٢٤]

ومن أنواع المجاز (المجار المرسل)، ومنه قوله: {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ في آذَانِهِم} وهو من إطلاق الكل وإرادة الجزء، أي رؤوس أصابعهم؛ لأن دخول الأصبع كلها في الأذن لا يمكن [٢٥]

ومن المجاز المرسل قوله: «يجعلون أصابعهم في آذانهم»؛ لأن الإصبع ليست هي التي تجعل في الأذن، فذكر الأصابع وأراد الأنامل، وعلاقته الكلية، والمجاز هنا أبلغ من الحقيقة ولذلك عدل عنها إليه، وجمع الأصابع؛ لأنه لم يرد أصبعا معينة؛ لأن الحالة حالة دهش وحيرة فأية أصبع اتفق لهم أن يسدوا بها آذانهم فعلوا غير معرّجين على ترتيب معتاد أو تعيين مفترض.[٢٦]

ومن المجاز المرسل قوله: {وَآتُواْ اليتامى أَمْوَالَهُمْ} أي الذين كانوا يتامى فهو باعتبار ما كان وكذلك {يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً} مجاز مرسل، وهو باعتبار ما يئول إليه، كقوله {إني أراني أَعْصِرُ خَمْراً} [يوسف: ٣٦] أي عنباً يئول إلى الخمر.

ومنه قوله: {أَمْ يَحْسُدُونَ الناس} المراد به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من باب تسمية الخاص باسم العام إشارة إلى أنه جمعت فيه كمالات الأولين والآخرين.

المبحث الثالث: بلاغة المحسنات.

أولا: الطباق

(والطباق اللغوي الذي اخذ منه الصناعي هو قول العرب : طابق البعير في مشيه اذا وضع خفَّ رجله موضع خف يده)[٢٧]

ويسمى أيضا « المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ وهو: الجمع بين معنيين متضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة».[٢٨]

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:

---

[٢٣] ابن منظور: لسان العرب، مادة(جوز).

[٢٤] ابن الأثير: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص٢٨.

[٢٥] صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني ، ١ /٣٣.

[٢٦] إعراب القرآن وبيانه : محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ،١ /٥٢.

[٢٧] تحرير التحبير: ابن ابي الاصبع المصري، ص١١١.

[٢٨] السيد على صدر الدين بن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ٣١/٢.

قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣)

يقول الدرويش: الطباق بين السموات والأرض وبين تبدون وتكتمون.

هذا وإن الطباق من الألفاظ التي خالفت مضمونها ولذلك سماه بعضهم التضاد والتكافؤ وهو الجمع بين معنيين متضادين ولا مناسبة بين معنى.

ثم أردف قائلا : والمطابقة لغة واصطلاحا فإنها في اللغة الموافقة. يقال: طابقت بين الشيئين إذا جعلت أحدهما على حذو الآخر. وابن الأثير يعجب لأنه لا يعرف من أين اشتقت هذه التسمية إذ لا مناسبة بين الاسم ومسمّاه، وقدامة يسميه التكافؤ، ولا فرق بين أن يكون التقابل حقيقيا أو اعتباريا أو تقابل السلب والإيجاب. ومن طباق السلب قول السموءل:

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

فقد طابق بين ننكر وهو إيجاب، وبين ولا ينكرون وهو سلب ويصبح الطباق مقابلة حين يؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب [٢٩]

ومنه أيضا: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)

الطباق في مواضع مثل «تؤتي وتنزع» و«تعز وتذل» و«الليل والنهار» و«الحي والميت» و«تخفوا وتبدوا» وفي «خير وسوء» و«محضراً وبعيداً».

ومنه قوله: (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) آل عمران.

حيث يوجد الطباق بين اللفظين"اللَّيل"و" النهار"واللفظين" الحَي" و" الميِّت". لأنهما متقابلين في المعني، وهو من نوع طباق الإيجاب.

ثانيا: الجناس

عرف البلاغيون الجناس بقولهم: « أنْ يتفق اللفظان في النطق، ويختلفا في المعنى ».[٣٠]

ومنه قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨) قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١)

والجناس الناقص في «مالك الملك» وفي «تحبون ويحببكم» وجناس الاشتقاق بين «تتقوا وتقاة» وبين «يغفر وغفور».

---

[٢٩] إعراب القرآن وبيانه : محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ، ١ /٨٣.

[٣٠] أبو هلال العسكري كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، مصر، القاهرة، ١٩٥٢م ، ص٣٥٣.

ومنـه قولـه: (وَلَا تُؤْتُـوا السُّـفَهَاءَ أَمْـوَالَكُمُ الَّتِـي جَعَـلَ اللَّـهُ لَكُـمْ قِيَامًـا وَارْزُقُـوهُمْ فِيهَـا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٥) وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وبدارنا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦)

وهنا الجناس المغاير في {دَفَعْتُمْ فادفعوا} وفي {وَقُولُواْ قَوْلاً} .

والجناس المغاير أيضا في {يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً} وفي {قُل لَّهُمْ ... قَوْلاً} وفي {يُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً} وفي {يَصُدُّونَ ... صُدُوداً} وفي {فَأَفُوزَ فَوْزاً} [النساء: ٧٣] .

ومن جناس الاشتقاق قولـه تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) البقرة.

تتضـمن الجنـاس فـي اللفـظ" آمنَّـا" و"بمُـؤمنِين" ، وذالـك اللفـظ يـدل علـى جنـاس اشـتقاقي؛ لأن كلاهمـا اشـتق مـن كلمـة واحـدة وهـو " أمـن ــ يـؤمن"، فـاللفظ" آمنَّـا" علـى صـيغة الفعـل الماضـي، وأمـا اللفـظ "بمُـؤمنِين" مـن صـيغة اسم فاعل.

ومن أنواع الجناس (الجناس الناقص) ومنـه قولـه تعالى:(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) البقرة.

تتضـمن الآيـة الجنـاس فـي اللفـظ "السـماء" و " المـاء" ، وذلـك اللفـظ يـدل علـى جنـاس نـاقص لأن اختلـف هنـا فـي العـدد بزيـادة حـرف واحـد فـي الأول وهو حرف "س".

ومن أنواع الجناس (الجناس المحرف) ومنه قوله تعالى:

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)

تتضـمن الجنـاس فـي اللفـظ"تأويلِـه"و"تأويلَـه" ، وذلـك اللفـظ يـدل علـى جنـاس محـرف؛ لأنـه اتفـق لفظـه فـي عـدد الحـروف وترتيبهـا، واختلـف في الحركات فقط.

ثالثا: التكرار

معنى التكرار لغة:

يقال: « كَرَّرَ الشيء وكَرْكَره أَعاده مرة بعد أُخرى، والكَرّةُ المَرَّةُ، والجمع الكَرَّات، ويقال: كَرَّرْتُ عليه الحديث وكَرْكَرْتُه: إذا ردّدته عليه ».[٣١]

معنى التكرار اصطلاحا:

---

[٣١] ابن منظور: لسان العرب، مادة (كرر).

وهو: (أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد([٣٢])

ومنه قوله تعالى: ((قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)

التكرار في جمل للتفخيم والتعظيم كقوله {تُؤْتِي الملك مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الملك مِمَّنْ تَشَآءُ}.

ومنه قوله: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩)

وهذا لأته سبحانه كما قال:(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٩)

فإن قال قائل: وما وجه تكرار قوله:"ولله ما في السموات وما في الأرض" في آيتين، إحداهما في إثر الأخرى؟.

قيل: كرّر ذلك، لاختلاف معنى الخبرين عما في السموات والأرض في الآيتين. وذلك أن الخبر عنه في إحدى الآيتين: ذكرُ حاجته إلى بارئه، وغنى بارئه عنه – وفي الأخرى: حفظ بارئه إياه، وعلمه به وتدبيره.

فإن قال: أفلا قيل:"وكان الله غنيًّا حميدًا"، وكفى بالله وكيلا؟ قيل: إن الذي في الآية التي قال فيها:"وكان الله غنيًّا حميدًا"، مما صلح أن يختم ما ختم به من وصف الله بالغنى وأنه محمود، ولم يذكر فيها ما يصلح أن يختم بوصفه معه بالحفظ والتدبير. فلذلك كرّر قوله:"ولله ما في السموات وما في الأرض".([٣٣])

واختلف أهل العربية في وجه تكرير الله تعالى ذكره اسمه مع قوله:"وإلى الله ترجع الأمور" ظاهرًا، وقد تقدم اسمُه ظاهرًا مع قوله:"ولله ما في السموات وما في الأرض".

فقال بعض أهل العربية من أهل البصرة: ذلك نظيرُ قول العرب:"أما زيدٌ فذهب زيدٌ"، وكما قال الشاعر:

لا أرَى المَوْتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَيءٌ نَغَّصَ المَوْتُ ذَا الغِنَى وَالفَقِيرَا

فأظهر في موضع الإضمار.

وقال بعض نحويي الكوفة: ليس ذلك نظير هذا البيت، لأن موضع"الموت".

الثاني: في البيت موضع كناية، لأنه كلمة واحدة، وليس ذلك كذلك في الآية، لأن قوله:"ولله ما في السموات وما في الأرض" خبرٌ، ليس من قوله:"وإلى الله ترجع الأمور" في شيء، وذلك أنّ كلّ واحدة من القصتين مفارقٌ معناها معنى الأخرى، مكتفية كل واحدة منهما بنفسها، غير محتاجة إلى الأخرى. وما قال الشاعر:"لا أرى الموت"، محتاجٌ إلى تمام الخبر عنه.

وقال أبو جعفر: وهذا القول الثاني عندنا أولى بالصواب، لأن كتاب الله عز وجل لا توجَّهُ معانيه وما فيه من البيان، إلى الشواذ من الكلام والمعاني، وله في الفصيح من المنطق والظاهر من المعاني المفهوم، وجهٌ صحيح موجودٌ.

([٣٢]) تحرير التحبير : ابن أبى الإصبع المصري، ص٣٧٥.

([٣٣]) جامع البيان في تأويل القرآن، ٩ /٣٩٤.

وأما قوله:"وإلى الله ترجع الأمور" فإنه يعني تعالى ذكره: إلى الله مصير أمر جميع خلقه، الصالح منهم والطالح، والمحسن والمسيء، فيجازي كلا على قدر استحقاقهم منه الجزاء، بغير ظلم منه أحدا منهم.(٣٤)

رابعا: المقابلة

وهى:« أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب»(٣٥)

ومن أمثلة المقابلة قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠) البقرة.

والمقابلة هنا بين من الذي يلعنهم الله في الآية الأولى وبين من الذي يتوب الله توبتهم والمذكور في الآية الثانية

ومنها قوله: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠) آل عمران، حيث ظهرت المقابلة في هذه الآية بتعدد الطباق بين اللفظ "خير"و"شر" وبين "السموات "و"الأرض".وقوله تعالى: {إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا} حيث قابل الحسنة بالسيئة والمساءة بالفرح وهي مقابلة بديعة.

ومن المقابلة اللطيفة أيضا المقابلة بين {وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ. . وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمعروف}.

خامسا: الإطناب

وهو أداء الكلام بأكثر من عبارته سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غيرها (٣٦)

ومن ذلك الإطناب في قوله: {فادفعوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ... . فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} وفي {لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الوالدان ... . وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الوالدان والأقربون} .

والإطناب في {فَضَّلَ الله المجاهدين بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ... . وَفَضَّلَ الله المجاهدين عَلَى القاعدين} وكذلك في {أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً} {وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً} .

سادسا: الالتفات

وهو (من محاسن الكلام ووجه حسنه على ما ذكر الزمخشري هو أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع وأكثر إيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد. (٣٧)

ومنه قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣)

---

(٣٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ٧ /١٩٨.

(٣٥) جلال الدين القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص٣٢١،٣٢٢.

(٣٦) في فلسفة البلاغة العربية: د. حلمي مرزوق، ص٣٠١، بتصرف.

(٣٧) الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني، ص٧٤.

الالتفات في قوله: «أو جاء أحد» فقد التفت من الخطاب إلى الغيبة، لأنه كناية عما يستحيا من ذكره، فلم يخاطبهم به. وهذا من محاسن الكلام.[٣٨]

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤)

والالتفات في {واستغفر لَهُمُ الرسول} تفخيماً لشأن الرسول وتعظيماً لاستغفاره ولو جرى على الأصل لقال {واستغفر لَهُمُ} .

سابعا: التورية

(وتسمى الإيهام أيضا وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما.[٣٩]

وهي (أن تكون الكلمة تحتمل معنيين، فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله، كقول علي عليه السلام في الأشعث بن قيس: وهذا كان أبوه ينسج الشمال باليمين، لأن قيساً كان يحوك الشمال التي واحدتها شملة).[٤٠]

ومنها قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣) البقرة.

فالتورية في قوله: «وسطا» فالمعنى القريب الظاهر للوسط هو التوسط مع ما يعضده من توسط قبلة المسلمين، ومعناه البعيد المراد هو الخيار كما تقدم في باب اللغة.

ومنه قوله: (وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) (آل عمران: ٤٩).

في هذه الآية ظهرت التوريّة في اللفظ" الآية "، حيث إن لها معنيان، بعيد وقريب. والمراد بالآية هنا المعنى البعيد وهو المعجزة.

---

(٣٨) إعراب القرآن وبيانه ٢/ ٢٤٢.

(٣٩) الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، ص٣٣١.

(٤٠) تحرير التحبير: ابن أبي الإصبع المصري، ص٢٦٨.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والصلاة والسلام الأدومان الأتمان المتلازمان على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واسطة عقد النبيين، وسيد أولى العزم من المرسلين، وعلى آله حق قدره العظيم وبعد.

فقد تبين لي من خلال البحث عدة نتائج من أهمها:

١_ يختم الله سبحانه الآيات بأسماء الله الحسنى ليدل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم.

٢_ أن الفاصلة القرآنية تكمن أهميتها في الإعجاز القرآني في التصوير والتعبير والتناسق الفني العجيب.

٣_ أن علم مناسبات القرآن هو علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال، لما اقتضاه الحال.

٤_ أنه جُمع في هذه السور الثلاث(البقرة وآل عمران والنساء) جموع من أنواع البلاغة، وقد بان في غُضُونِ تَفْسِيرِ هَذِهِ السُّور الْكَرِيمَة مِنْ عِلْمِ الْبَيَانِ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ لَا يَهْتَدِي إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا إِلَّا مَنْ كَانَ تَوَغَّلَ فِي فَهْمِ لِسَانِ الْعَرَبِ، وَرُزِقَ الْحَظَّ الْوَافِرَ مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ، وَكَانَ عَالِمًا بِافْتِنَانِ الْكَلَامِ.

٥_ تضمنت في هذه الآيات من السور الثلاث الكثير من ألوان الفصاحة والبلاغة والبديع.

٦_ تقوم الفاصلة القرآنية بدور الإحكام، فتربط بالمعنى الكلي الذي يسبقها في الآية ذلك إضافة إلى ترنيمها الموسيقى الواضح، فهذا الإحكام يتّسم بوظيفتين في الشكل والمضمون.

المصادر والمراجع

١_ إعراب القرآن وبيانه: **محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش** ، دار النشر : دار الإرشاد . سورية.

٢_ الإيضاح في علوم البلاغة: **جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني**، الناشر : دار إحياء العلوم – بيروت، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٨.

٣_ تحرير التحبير: **ابن ابى الاصبع المصري** ، تحقيق د. حفنى محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الاعلى للشؤن الاسلامية ، لجنة احياء التراث الاسلامى.

٤_ تفسير الكشاف: **الزمخشري**، دار الكتاب العربي، 2002 .

٥_ التفسير الوسيط للزحيلي : **د وهبة بن مصطفى الزحيلي**، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٦_ جامع البيان في تأويل القرآن : **محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري**، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٧_ جامع الدروس العربية: **مصطفى الغلاييني** ، ط١ ،المكتبة العربية، صيدا لبنان، 1999.

٨_ **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور**: أبو الفتح، ضياء الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٧هـ)، المحقق: مصطفى جواد، الناشر: مطبعة المجمع العلمي، عام النشر: ١٣٧٥هـ.

٩_ دلائل الإعجاز: **عبد القاهر الجرجاني**، تعليق محمود محمد شاكر، ط١.

١٠_ صفوة التفاسير : **محمد علي الصابوني** الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

١١_ الصناعتين الكتابة والشعر :**ابوهلال العسكر**:تحقيق د.مفيد قميحة، ط٢، ١٤٠٤هـ، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان.

١٢_ **في فلسفة البلاغة العربي**ة: د. حلمي مرزوق، مكتبة الإسكندرية، ١٩٩٩.

١٣_ **لسان العرب**: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر : دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.

١٤_ **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**: أبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي، الناشر : المكتبة العصرية – بيروت ، ١٩٩٥، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد.

١٥_ **معجم مقاييس اللغة**: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق : عبد السلام محمد هارون، الناشر : دار الفكر، الطبعة : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٦_ **الوجيز لابن عطية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣ .